

تفسير البحر المحيط

@ 445 ا رَأَتْهُمْ ° { قيل هو حقيقة وإن لجهنم عينين وروي في ذلك أثر فإن صح كان هو القول الصحيح . وإلا كان مجازاً ، أي صارت منهم بقدر ما يرى الرائي من البعد كقولهم : دورهم تتراءى أي تتناظر وتتقابل ، ومنه : لا تتراءى ناراها . وقال قوم : النار اسم لحيوان ناري يتكلم ويرى ويسمع ويتغير ويزفر حكاة الكرمانى ، وقيل : هو على حذف مضاف أي رأتهم جزنتها من مكان بعيد ، قيل : مسيرة خمسمائة عام . وقيل : مائة سنة . وقيل : سنة { سَمِعُوا ° لَهَا } صوت تغيظ لأن التغيظ لا يسمع ، وإذا كان على حذف المضاف كان المعنى تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار وشهوة للانتقام منهم . وقيل { سَمِعُوا ° } صوت لهيبها واشتعالها وقيل هو مثل قول الشاعر : % (فيا ليت زوجك قد غدا % . متقلداً سيفاً ورمحاً .

٪)

وهذا مخرج على تخريجين أحدهما الحذف أي ومعتقلاً رمحاً . والثاني تضمين ضمن متقلداً معنى متسلحاً فكذا الآية أي { سَمِعُوا ° لَهَا } ورأوا { تَغْيِيْطًا ° وَزَفِيرًا } وعاد كل واحد إلى ما يناسبه . أو ضمن { سَمِعُوا ° } معنى أدركوا فيشمل التغيظ والزفير . وانتصب { مَكَانًا ° } على الطرف أي في مكان ضيق . وعن ابن عباس : تضيق عليهم ضيق الزج في الرمح مقرنين قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل . وقيل : يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد . وقرأ ابن كثير وعبيد عن أبي عمر وضيقاً . قال ابن عطية : وقرأ أبو شيبه صاحب معاذ بن جبل مقرنون بالواو وهي قراءة شاذة ، والوجه قراءة الناس ونسبها ابن خالويه إلى معاذ بن جبل ووجهها أن يرتفع على البدل من ضمير { أَلْقَوْا ° } بدل نكرة من معرفة ونصب على الحال ، والظاهر دعاء الثبور وهي الهلاك فيقولون : واثبوراه أي يقال يا ثبور فهذا أوانك . وقيل : المدعو محذوف تقديره دعوا من لا يجيبهم قائلين ثبرنا ثبوراً . والثبور قال ابن عباس : هو الويل ، وقال الضحاك : هو الهلاك ومنه قول ابن الزبيري : % (إذ يجاري الشيطان في سنن الغي % .

ومن مال ميله مثبور .

٪)

{ لَآ تَدْعُوا ° الْيَوْمَ } يقول لهم { لَآ تَدْعُوا ° } أو هم أحق أن يقال لهم ذلك وإن لم يكن هناك قول ، أي لا تقتصروا على حزن واحد بل احزنوا حزناً كثيراً وكثرته إما لديمومة العذاب فهو متجدداً دائماً ، وإما لأنه أنواع وكل نوع يكون منه ثبور لشدة

وفظاعته . وقرأ عمرو بن محمد { ثُبُوراً } بفتح الثاء في ثلاثتها وفعل بفتح الواو في المصادر قليل نحو البتول . وحكى عليّ بن عيسى : ما ثبرك عن هذا الأمر أي ما صرفك . كأنهم دعوا بما فعلوا فقالوا : واصرفاه عن طاعة الله كما تقول : واندامتاه . روي أن أول ما ينادي بذلك إبليس يقول : واثبورا حتى يكسى حلة من جهنم يضعها على جبينه ويسحبها من خلفه ، ثم يتبعه في القول أتباعه فيقول لهم خزان جهنم { لاَّ تَدْعُواْ } . وقيل : نزلت في ابن خطل وأصحابه . والظاهر أن الإشارة بذلك إلى النار وأحوال أهلها . وقيل إلى الجنة والكنز في قولهم . وقيل إلى الجنة والقصور المزعولة في الدنيا على تقدير المشيئة و { خَيْرُ } هنا ليست تدل على الأفضلية بل هي على ما جرت عادة العرب في بيان فضل الشيء وخصوصيته بالفضل دون مقابله كقوله : .

شع فشركما لخيركما الفداء وكقول العرب : الشقاء أحب إليك أم السعادة . وكقوله { السَّجَّانُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ } وهذا الاستفهام على سبيل التوقيف والتوبيخ . .

قال ابن عطية : ومن حيث كان الكلام استفهاماً جاز فيه